

الأحزاب السياسية وعملية البناء الديمقراطي

د. نورالدين حاروش أستاذ محاضر

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية

جامعة الجزائر-3-

الملخص

شكلت الأحزاب السياسية أبرز الأدوات التي تعكس نشاط المجتمع في الدول الحديثة، ولا يمكننا فهم طبيعة النظام السياسي إلا من خلال فهمنا لماهية الأحزاب الناشطة فيه (النظم السياسية هي انعكاس لواقع اجتماعي معين)، كما أن ظهور الأحزاب السياسية غير من كيان النظم السياسية بحيث أصبح ينظر إليها على أنها نظما حزبية سواء كانت ليبرالية أو اشتراكية، تعددية أو أحادية. وهكذا أصبحت الأحزاب السياسية تشكل أهمية بالنسبة للنظم السياسية وربط الشعب بالحكومة، وأنها توثق الصلة بين الوحدات السياسية المنفصلة في داخل المؤسسات السياسية في أي نظام سياسي.

من جهة أخرى تشكل الأحزاب السياسية في كل الديمقراطيات الليبرالية جسر العبور الإجباري للمنافسة السياسية وتكون ضمن هذا العنوان واحدا من المواضيع الرئيسية والشرعية للعلوم السياسية. بالمقابل يمكن أن تكون الأحزاب السياسية من أبرز عناصر تهديم الأنظمة السياسية وخلق الفوضى داخل المجتمعات، خاصة تلك التي خرجت توا من الاستعمار أو تلك التي هي في بداية تجربتها التعددية والديمقراطية، وعلى هذا الأساس سنقوم بدراسة المحور الأول والمتعلق بالجانب البناء في الحزب السياسي، أما المحور الثاني فيتعلق بالجانب الهدام في الحزب السياسي.

المحور الأول : الأحزاب السياسية أداة لبناء الأنظمة

لا يمكننا الكلام عن شيء دون التعريف به، ولذلك سنحاول إعطاء بعض التعاريف التي تناولت مفهوم الحزب السياسي والظاهرة الحزبية. ليس من السهل تقديم تعريف جامع مانع لظاهرة مركبة تتسم بالشمولية والتعقيد في آن واحد مثل ظاهرة الحزب السياسي وربما يرجع ذلك لاختلاف الآراء والخلفية الأيديولوجية للكُتَّاب والباحثين الذين حاولوا تحديد هذا المفهوم، ومع هذا سنحاول القيام بمقاربة للموضوع للتمييز على الأقل بين اتجاهين أساسيين وسرد مجموعة من التعريفات قُدِّمت للحزب السياسي من طرف مفكري الغرب والعرب.

أ- الاتجاه الأول :

يمثله الفكر الماركسي الذي يرى أن الحزب السياسي ما هو إلا تعبير سياسي لطبقة ما وبالتالي لا وجود لحزب سياسي دون أساس طبقي حسب المفهوم الماركسي طبعا، وفي هذا استبعاد واضح من فضاء الحزبية للأحزاب الأخرى التي لا تقوم على أساس طبقي⁽¹⁾.

ب - الاتجاه الثاني :

يتبناه الأدب السياسي البورجوازي ويركز هذا الاتجاه على المبادئ ودرجة الالتزام والوضوح والتحديد في صياغتها⁽²⁾.

ومن التعاريف المتعددة للحزب السياسي ذلك التعريف الذي يرى أن الحزب السياسي هو: "مجموعة من الأفراد يجمعهم الإيمان

(1)- عمل جماعي، موسوعة العلوم السياسية، الكويت: جامعة الكويت، مطبعة الوطن، 1994، ص 523.

(2)- علي الدين هلال، د. نيفين مسعد، النظم السياسية العربية قضايا الاستمرار والتغيير، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص 167.

والالتزام بفكر معين"⁽³⁾. هذا التعريف البسيط التف حوله العديد من المفكرين والباحثين، بالرغم من قصور هو إغفاله لعدة حقائق منها مثلاً إمكانية وجود حزبين أو أكثر يتقاسمان نفس المبادئ والأهداف داخل الدولة نفسها.

أما تعريف **هارولد لاسويل** H. LASWEL للحزب السياسي فهو: "تنظيم يقدم مرشحين باسمه في الانتخابات"⁽⁴⁾. وقريباً من هذا التعريف يرى **شالانجر** Shalanger والذي يحدد مفهوم الحزب في مظهر واحد من مظاهره هو هدف الوصول للسلطة ويعتبره تنظيمياً يسعى للوصول إلى السلطة في الأنظمة الديمقراطية، وكأن هذا التعريف يستبعد من معنى الحزبية كل الأحزاب التي لا توجد في الدول الديمقراطية، لذلك نجد **جيمس كولمان** J. KOLMAN يوسع من دائرة مفهومه للحزب السياسي لتتطبق على كل الأنظمة السياسية بقوله الحزب: "له صفة التنظيم الرسمي هدفه الصريح والمعلن هو الوصول إلى الحكم إما منفرداً أو مؤتلفاً مع أحزاب أخرى"⁽⁵⁾.

ولا يبتعد **جوزيف لا بالومبارا** lapalombara في تعريفه للحزب السياسي عن التعريفات السابقة، مع بعض الإضافات، فالحزب في نظره: "تنظيم رسمي هدفه وضع وتنفيذ السياسات العامة"، في حين يقول **ماكس فيبر** إن: "اصطلاح الحزب يستخدم للدلالة على علاقات اجتماعية تنظيمية تقوم على أساس من الانتماء الحر والهدف

(3)- عمل جماعي، موسوعة العلوم السياسية، المرجع السابق الذكر، ص 523.

(4)- عمل جماعي، موسوعة العلوم السياسية، المرجع السابق الذكر، ص 523.

(5)- عمل جماعي، موسوعة العلوم السياسية، المرجع السابق الذكر، ص 523.

هو إعطاء رؤساء الأحزاب سلطة داخل الجماعة التنظيمية من أجل تحقيق هدف معين أو الحصول على مزايا عادية للأعضاء"⁽⁶⁾.

وبأسلوب لا يخل ومن البساطة والتفصيل يعبر جورج بوردو^(*) Georges Burdeau عن الأحزاب السياسية التي تأسست على مفهوم "المكان" الجوهري الذي يشغله الحزب السياسي، ومن ثم مقاصده باتجاه "غزو" السلطة ويرى بأن الحزب: "مجموعة من الأفراد لديهم نفس الرؤى السياسية، تجهد وتبحث لتجعلها متفوقة على غيرها من الرؤى، محاولة جمع أكبر عدد ممكن من المواطنين في البحث عن عملية الوصول إلى السلطة، أو على الأقل التأثير على أفكارهم"⁽⁷⁾.

هذه التعاريف الأخيرة مقنعة أكثر من غيرها، باعتبارها تتحدث مباشرة عن المفهوم الحقيقي لتنظيم الأحزاب ولاسيما طموحها النهائي لتجربة ممارسة السلطة. ولكن قد يكون التعريف الأخير تجاهل أشياء أخرى مهمة متصلة بتنظيم وتصنيف الأحزاب

⁽⁶⁾ - صلاح نيوف، نظرية الأحزاب السياسية الحوار المتمدن، العدد 1254/، 10/7/2005، www.rezgar.com

- جورج بوردو، Georges Burdeau (1905 - 1988) ناشر وسياسي فرنسي، عمل كأستاذ بكلية الحقوق بباريس سنة 1950، قاو بإثراء الدراسات السياسية ببحوثه حول السلطة من خلال نظريته للدولة: السلطة المؤسساتية، وكتابة حول السلطة السياسية والدولة، 1943، كما له العديد من المؤلفات في القانون الدستوري منها منهج علم السياسية 1959، والديمقراطية 1969، الدولة 1970، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية 1976... انظر: WWW.fr.encarta.msn.com/ encyclopedia

♦ إدmond بورك (1729 - 1797) فيلسوف وسياسي من أصول إيرلندية.. أصبح هذا الكاثوليكي الذي حارب من أجل سلطات البرلمان، نائبا من عام 1765 حتى 1794. انتقد في كتاباته مبادئ الثورة الفرنسية التي كانت، حسب رأيه، تحجب حقيقة أنّ الواجبات والضعفات ليست سوى المقابل لحقوق الإنسان، ويقول بورك كذلك "هل يمكن لنا أن نكون إنسانيين ونحن دميون؟ لكي ينتصر وينجح الشر، لا بد له من صمت الناس الخيرين"

⁽⁷⁾ - بثينة عيد الله، الحزب والسياسة والديمقراطية "الجزيرة نت"، 2003، www.aljazeera.net

السياسية خاصة عندما يقول أن الحزب يعمل على ضم أكبر عدد ممكن من المواطنين والأعضاء، الحزب ليس بالضرورة كذلك، لأن التعريف يستبعد ما نسميه " أحزاب الكوادر". وفي التعريف المذكور لا بد أن يخرج الحزب عن طبيعة وبنية الداخلية، خاصة عندما يجمع كل من يؤمن أو لا يؤمن بأفكاره أو يشترك معه. إضافة لذلك هناك أحزاب "مغلقة"، وتمارس عملها بالإكراه والإجبار.

من التعاريف الأخرى للحزب السياسي تلك التي قدمها ادmond بيرك^(♦♦) Edmund BURK حيث يقول : " هو جماعة متحدة من الأفراد يسعون بجهودهم الجماعية إلى تحقيق المصلحة الوطنية وفقا لبعض المبادئ التي تحوز رضاهم⁽⁸⁾. والملفت للانتباه في هذا التعريف هو مرونته، إذ أنه بإمكانه أن يضم تنظيمات أخرى غير سياسية مثل النقابات والجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني.. وهي لا تهدف للوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها عكس الأحزاب السياسية التي يعتبر الوصول إلى السلطة أهم أهدافها، خاصة في وقتنا الحاضر، بل قل ما نجد حزبا سياسيا يسعى لتحقيق المصلحة

♦. إدmond بورك (1729 - 1797) فيلسوف وسياسي من أصول إيرلندية.. أصبح هذا الكاثوليكي الذي حارب من أجل سلطات البرلمان، نائبا من عام 1765 حتى 1794. انتقد في كتاباته مبادئ الثورة الفرنسية التي كانت، حسب رأيه، تحجب حقيقة أن الواجبات والضعف ليست سوى المقابل لحقوق الإنسان، ويقول بورك كذلك "هل يمكن لنا أن نكون إنسانيين ونحن دميون؟ لكي ينتصر وينجح الشر، لا بد له من صمت الناس الخيرين"

(8) - Edmund BURK, Reflection on the revolution in France, نقل عن : سليمان صالح الغويل، ديمقراطية الأحزاب السياسية والجماعات الضاغطة، بنغازي : منشورات جامعة قار يونس،

2003، ص 29

العامّة، بل يسعى في الحقيقة لتحقيق مصلحة أعضائه ومنتسبيه أو ما يمثّل من أفراد أو طبقات... .

أما تعريف الأحزاب السياسية من جانب الفقهاء العرب فجاءت كثيرة ومتنوعة كذلك، فهذا سليمان الطماوي يرى بأنّ الحزب السياسي: "هو جماعة متحدة من الأفراد، تعمل بمختلف الوسائل الديمقراطية للفوز بالحكم، بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين"⁽⁹⁾، أما السيد هيكل فيعرف الحزب على أنه مجموعة من الأفراد يتحدون في التنظيم بغرض تحقيق أهداف معينة عن طريق استعمال حقوقهم السياسية، أما عند ماجد الحلّ وفالحزب السياسي هو جماعة منظمة من المواطنين تسعى بالطرق المشروعة إلى الوصول إلى مقاعد الحكم والدفاع عن يترع عليها... .

وحاول سمير عبد الرحمن الشمري في مفهومه للحزب الجمع بين العديد من خصائص الحزب السياسي وبالتالي اقترب من التوفيق بين التعاريف السابقة، فالحزب كما عرفه هو: "جماعة اجتماعية تطوعية واعية ومنظمة ومتميزة من حيث الوعي السياسي والسلوك الاجتماعي المنظم ومن حيث الطموحات والآمال المستقبلية ولها غايات قريبة وبعيدة تهدف هذه الجماعة إلى الاستيلاء على السلطة (إذا كانت في المعارضة وإلى تغيير سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وحياتي يتساوى مع قناعاتها واتجاهاتها إذا كانت في السلطة). والحزب يمثّل شريحة اجتماعية في المجتمع أو كتل اجتماعية متناغمة ويدافع عن مصالح الكتل الاجتماعية التي يمثّلها ويجاهد

(9) - سليمان الطماوي، السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر السياسي الإسلامي، بيروت: دار الفكر العربي، 1979، ص 544

من أجل انتصار أهدافه وغاياته التي يصب وإليها وكل حزب من الأحزاب السياسية له مبادئ تنظيمية وفكرية واجتماعية وله قوانينه الداخلية يحتكم إليها (النظام الداخلي للحزب) وله برنامج محدد يبسط فيه هويته الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية"⁽¹⁰⁾.

وكأي مفهوم من مفاهيم العلوم الاجتماعية، تتعدد التعريفات المختلفة للأحزاب السياسية، على أنه ومن واقع النظر لهذه التعريفات، يمكن الإشارة إلى أن الحزب السياسي هو اتحاد بين مجموعة من الأفراد، بغرض العمل معاً لتحقيق مصلحة عامة معينة، وفقاً لمبادئ خاصة متفقين عليها. وللحزب هيكل تنظيمي يجمع قاداته وأعضاءه، وله جهاز إداري معاون، ويسعى الحزب إلى توسيع دائرة أنصاره بين أفراد الشعب واستقطاب أكبر عدد منهم خاصة في المواعيد والاستحقاقات الانتخابية، ويبقى الهدف الذي انشأ من أجله الحزب السياسي هو الوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها، وعليه تعد الأحزاب السياسية إحدى أدوات التنمية السياسية في العصر الحديث. فكما تعبر سياسة التصنيع عن مضمون التنمية الاقتصادية، تعبر الأحزاب والنظام الحزبي عن درجة التنمية السياسية في النظام السياسي.

الأحزاب السياسية أصبحت في عصرنا هذا الشغل الشاغل لكل نظام سياسي لما تكتسبه من أهمية في حياة هذه الأنظمة والدول على حد سواء، وبالرغم من هذا فقد عجز فقهاء القانون وعلماء السياسة عن إيجاد تعريف أو مفهوم واضح لهذه الأحزاب

⁽¹⁰⁾ - سمير عبد الرحمن الشمري، الديمقراطية في عينة من الأحزاب اليمنية، الجزيرة نت/2003،
www.aljazeera.net

كما رأينا آنفاً، ومع هذا فقد اتفقوا كلهم على جملة من الخصائص التي تميز الأحزاب أو الظاهرة الحزبية، فما المقصود بالظاهرة الحزبية؟

أصبحت الأحزاب السياسية الآن تلعب دوراً هاماً في المشاركة السياسية والشؤون العامة والحكم، أضف إلى ذلك ازدياد الدول والأنظمة بالاهتمام بتبني التعددية الحزبية بشكل أو بآخر، لذلك يتعين علينا تحديد مفهوم الظاهرة الحزبية.

قدم الفقيه الفرنسي روبريلو⁽¹¹⁾ في كتابه "المواطنة والدولة" ثلاثة مفاهيم للأحزاب، ولكن دراستها تبين لنا أنه يقصد أنواع الأحزاب، والحقيقة أنه هناك تداخل بين هذا وذاك، لذلك ندرسها كمفاهيم وهي :

المفهوم الأول: يقوم على تضامن شخصي صرف، وهو حزب البطانة الذي يعرف بأنه تكتل حول شخص أو أسرة ينتظر منه أن يقدم - حماية شخصية - وينتهج سياسة ملائمة للمصلحة العامة، أو لبعض المصلحة العامة، ويقول بيل وأن هذا النوع من الأحزاب نجده في الدول القديمة ولكنه لا يزال في بعض دول البحر المتوسط وأمريكا الجنوبية وآسيا أي الدول المتخلفة إن صح التعبير، ويميز هذه الدول بعض العادات والتقاليد والأعراف بل وحتى بعض أشكال الاقتراع وهي كلها - هذه العوامل - التي جعلت بروز هذا النوع من الأحزاب.

أظن أن هذا المفهوم لا يختلف كثيراً عن الشخصية الكاريزماتية التي تكلم عنها ماكس فيبر عندما حدد أنواع

(11) - روبريلو، **المواطن والدولة**، (تر: نهاد رضا)، ط2، بيروت: منشورات عويدات، 1977. ص155

السلطات، وقد تجسد هذا النوع من السلطة في المجتمعات البدائية، وربما تطورها أدى بهذه السلطة-الشخصية الكاريزماتية - إلى تأسيس أو إنشاء تكتل - حزب - ألفت حوله الشعب طالبا الحماية وتحقيق مصالحه.

المفهوم الثاني: ويقصد به الحزب العقائدي، أي تضامن الأفكار والأهداف والنوايا، التي بإمكانها أن تولد حزبا، وبالتالي يصبح مفهوم هذا النوع من الأحزاب كما يلي: " اتحاد مجموعة من الأفراد لنشر أفكارهم واجتذاب الأنصار المؤيدين لهم، .. والسعي للحصول على الأكثرية في الانتخابات تشكيل حكومة... " (12).

هذا المفهوم الثاني ركز على جانب مهم في تشكيل وتكوين الأحزاب وهو "الأفكار" ومن هنا تبدأ المغامرة لأنه بإمكان جمع معتنقي الأفكار المتشابهة وجعلهم يدافعون عنها والبقية تأتي، كالتنظيم والبرامج والنشاط وما شابه ذلك.

المفهوم الثالث: هو الحزب الطبقي، ويعرفه كما يلي: " هو تعبير عن تضامن طبقي بين مجموعة من الأفراد تجمعهم وحدة الهوية والمصالح... وخير مثال على ذلك أحزاب العمال أو الطبقات العمالية التعيسة البروليتاريا" (13).

هذا المفهوم أو النوع من الأحزاب اجتمعت فيه بعض المقاييس جعلت من فئة أو طبقة اجتماعية أن تتضامن وتتحد لأنها تعيش وتعاني من

(12) - روبريلو، المرجع السابق الذكر، ص 156.

(13) - نفس المرجع، ص 157

مشكل واحد قرب تضامنها واتحادها وهي بذلك تناضل وتعمل من اجل تحقيق بعض أهداف طبقتها ، وأحسن الأمثلة فعلا هي الأحزاب العمالية .

لا يمكن أن نجمع هذه المفاهيم الثلاثة لأن بعض المفاهيم متناقضة فيما بينها ، فإذا استطعنا جمع مفهومي الطبقيّة والعقائدية في حزب ، فإننا لا نستطيع إضافة المفهوم الأول القائم على المعيار الشخصي أو الكاريزماتي ، ولأن من عادة الأحزاب خاصة في الدول المتقدمة الالتفاف حول الأفكار والعقائد أو التضامن فيما بينها - الطبقات- ونجد بالمقابل النوع الأول- المعيار الشخصي - في الدول القديمة أو المتخلفة التي لا يزال يهيمن عليها نظام القبيلة ، وأنها تلتف حول الزعيم.. ولو أن هذا الحزب يزول بزوال الزعيم ؟ ؟

ولعل الأهم فيما يخص وجود الحزب من عدمه - من ناحية التأثير - وهي الخاصية المشتركة بين كل الأحزاب مثل التنظيم والاستقلالية والبرامج ، هي المشاركة في عملية صنع القرار السياسي ، مما يعني إن الأحزاب دائما تقوم على أساس سياسي ، وبقدر النضال التي يقوم به من اجل السيطرة والتأثير في القوى السياسية بقدر ما يكون للأحزاب معنى وأهمية ، وهذا ما ذهب إليه الفقيه الألماني سيجموند نيومان .

إن التساؤل الذي يتبادر إلى الذهن هو هل يحتاج النظام السياسي إلى أحزاب وهل الأحزاب السياسية أدوات للديمقراطية ؟ وهل كانت هناك أحزاب سياسية صاحبت الأنظمة السياسية والحكومية خلال الحضارات القديمة سواء الشرقية أو الغربية التي عرفتها الإنسانية ، وهل هناك فعلا حاجة وضرورة لوجود الأحزاب السياسية في الحياة السياسية ؟

للإجابة على هذه الأسئلة يجب علينا دراسة أنظمة الحكم التي عرفتها الحضارات القديمة للوقوف على حقيقة وجود أو عدم وجود الأحزاب السياسية ومشاركتها في الحياة السياسية من عدمها.

فمن خلال دراستنا للحضارات الشرقية القديمة وبالأخص نظامها السياسي وأنواع حكوماتها، وبالرغم من بعض الاختلافات في هذه الأنظمة إلا أن مفهوم الحزب كفاعل في الحياة السياسية أو الممارسة السياسية هذه لم يكن مطروحا، فهذه مثلا أقدم الحضارات : الحضارة المصرية الفرعونية حيث كان نظام الحكم يتمثل في شكله الهرمي بداية من القمة ممثلة في الملك - الفرعون - الذي كان يمثل صورة الإله في الأرض⁽¹⁴⁾، بالإضافة إلى البلاط الملكي الذين يخدمون الملك والأمراء وكبار الموظفين والوزراء والكهنة وقادة الجيش وكلهم تحت سلطة الملك حيث يقوم بتعيينهم وعزلهم متى شاء... من خلال هذا نرى أنه كانت للملك السلطة المطلقة في تسيير وإدارة أمور الدولة..

ولا يختلف الأمر في حضارات ما بين النهرين، وعددها خمسة وهي : السومريون والأكاديون والبابليون والأشوريون والكلدانيون، حيث تميزت الحضارة البابلية عن باقي الحضارات، خاصة في ظل حكم الملك حامورابي أين غدت بابل في أيامه من أغنى مدن الدنيا وأوفرها قوة، ويبقى بطبيعة الحال قانون حامورابي من أعظم أعماله⁽¹⁵⁾. ولكن لا أثر للأحزاب السياسية.

⁽¹⁴⁾- مصطفى عبد الله أبو القسم خشيم، مبادئ علم الإدارة العامة. ط2، طرابلس : الجامعة المفتوحة، 2002، ص 45

⁽¹⁵⁾- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر السياسي، ج2، بيروت : دار المعرفة الجامعية، 1990، ص 34.

وفي الحضارة الصينية، وخاصة أيام التشا وفقد تمثل النظام السياسي في وجود الملك على قمة الهرم، ويأتي بعده الوزير الأول الذي لا يقل عنه أهمية خاصة إذا كان الملك ضعيف الإرادة ثم يلي الوزراء الثلاثة الأكثر أهمية وهم: وزير الزراعة والحرب والأشغال العامة، ثم يلي وزراء آخرون يهتمون بأمور الملك الخاصة وبالقضاء.. ولم تختلف الحضارة الهندية كثيرا عن الصينية، إذ تميزت الدولة الهندية بنظامها الملكي، تتكافأ فيه ثلاث سلطات: سلطة الملك وسلطة رجال الكهنوت وسلطة الشعب، ويخضع الشعب والكهنة للملك⁽¹⁶⁾. وها هي الحضارة الفارسية التي كان الملك يقف على رأس الإمبراطورية ويلقب بالمحارب، ولما كان هناك ملوك يحكمون أجزاء من الإمبراطورية، فقد لقب ملك فارس بالملك العظيم أو ملك الملوك. يتمتع الملك الفارسي بسلطة مطلقة وهي قائمة على القوة والبطش⁽¹⁷⁾

وكانت الحضارة الفينيقية شأنها شأن باقي الحضارات ذات النظام الملكي، بحيث كانت كل مدينة تشكل دولة قائمة بذاتها وعلى رأسها ملك، وهذه الملكية هي أشبه ما تكون بالملكية الدستورية في وقتنا الحاضر، ودستور المدينة - الدولة - الذي يمثل مجمل الأعراف والتقاليد، يجب أن يقترن بموافقة مجلس الشيوخ..

نظام هذه الحضارات ملكي فردي تجتمع كل الصلاحيات في يد رجل واحد لا وجود لمن يشاركه الحكم أو يطمع في الوصول إلى الحكم، بحكم عدم وجود الأحزاب أو التكتلات وغيرها، أما في الحضارة الغربية فنجد الأمر يختلف بوجود هامش الحرية الفردية

⁽¹⁶⁾ - نورالدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، ط2، الجزائر: دار الأمة، 2009، ص 42.

⁽¹⁷⁾ - نفس المرجع، ص 43

والديمقراطية وإبداء الرأي والوصول إلى مقاليد الحكم بشكل فردي وفي غياب الأحزاب كذلك، فكيف كانت تتم ممارسة السياسية والحكم في دولة المدينة (أثينا) ؟

تجلى نظام الحكم عند الإغريق في تلك الممارسة الديمقراطية المباشرة، وقبل التفصيل فيها، يجب التذكير بأن المجتمع الأثيني كان مقسما إلى ثلاث طبقات :

1- طبقة المواطنين الأحرار :

2- طبقة الأجانب :

3- طبقة العبيد :

ولدولة المدينة تنظيم سياسي ونظام حكم يتجسد من خلال مؤسسات وهيئات سياسية، ميزته تلك الممارسة الديمقراطية المباشرة وعرفت دولة المدينة ممارسة السلطة السياسية عن طريق الهيئات التالية :

الجمعية العمومية (الإكليزيا) : تتكون من المواطنين الأحرار الذين بلغوا سن العشرين وهي أعلى سلطة سياسية في دولة المدينة أنشأها (كليستينس) مهمة هذه الجمعية التصويت على القوانين ومراسيم تنفيذها وانتخاب القادة العسكريين والقضاة ومراقبة أعمالهم.

المجلس النيابي : يسمى المجلس النيابي أو مجلس الأعيان أو مجلس الخمسمائة، تشبه مهمة هذا المجلس مهمة مجلس الوزراء في العصر الحالي، فكانت الجمعية العمومية تنتخب أعضاؤه ليشرفوا على تنفيذ قراراتها، وسمي بمجلس الخمسمائة لأنه يضم 500 عض وينتمون إلى 10 قبائل أثينية، أي كل قبيلة تبعث 50 مندوبا عنها إلى المجلس النيابي (50 في 10 يساوي 500).

وحتى تتمكن القبائل العشرة من تسيير المجلس بطريقة ديمقراطية يتولى ممثل وكل قبيلة الحكم عشر(10/1) أيام السنة^(*)، ويضاف إليها ممثل عن كل قبيلة من القبائل التسعة البعيدة عن المجلس لمراقبة أعمال المجلس، أما رئيس المجلس فيختار بالاقتراع من بين أعضائها لمدة يوم واحد، بشرط أن لا ينال أثني هذا الشرف أكثر من يوم واحد في حياته⁽¹⁸⁾

وكانت محاكم أثينيا حجر الزاوية في النظام الديمقراطي، فهي بالإضافة إلى دورها المعهود كانت وسيلة من وسائل الرقابة التي يمارسها الشعب على القضاة والقانون على السواء.

وخلاصة القول، ومن خلال نموذج أثينا الديمقراطي، وكما يقال فإن الديمقراطية هي أفضل أو أحسن الأنظمة السيئة، نقول أن ديمقراطية أثينا كانت طبقية بحيث فتحت الأبواب أمام المواطن الأثيني الحر ليتبوا أسمى المراتب دونما تمييز طبقي أو مالي، فالكفاءة هي الشرط الأساسي، والاختيار عن طريق القرعة كان يعد الجميع بدور ما، ثم إن المناقشات المفتوحة أما الجميع هي غاية ما يصب وإليه أي نظام ديمقراطي فغدا كل أثيني يستمتع بما لسواه من حقوق أمام القانون، ويمني النفس بالوصول يوما ما إلى مرتبة الحاكم أو القاضي أو القائد... ولكن كلمة مواطن حر تعني فقط من ولد من أبوين أثينيين.

❖ - عشر أيام السنة يعني 365 على 10 ويساوي 36.5 يوما، وبما أن القبيلة ممثلة بـ 50 عضوا هذا يعني أنه من أصل 50 فردا يتولى رئاسة المجلس 36 فردا... وكل صباح ينصب الرئيس الجديد وهو في نفس الوقت رئيس اللجنة ورئيس المجلس النيابي ورئيس الجمعية العمومية⁽¹⁸⁾ - جورج سباين، تطور الفكر السياسي، الكتاب الأول، (ترجمة: حسن خلال لعروسي)، ط 4، القاهرة: دار المعارف، 1971، ص 9.

أما الحضارة الرومانية فقد تبنت مفهوما جديدا مفاده أن الشعب صاحب السيادة، وكان هذا المفهوم بطبيعة الحال تجريدا لأن الشعب قد أعطى للحاكم الحرية المطلقة وليس من حقه أن ينتزع هذه السلطة منه، بالإضافة إلى أن هذه الحضارة حددت العلاقة التي تربط بين الفرد والدولة من حيث الحقوق والواجبات⁽¹⁹⁾

لم تتميز الحضارة الرومانية بالنقاشات الديمقراطية مثل ما كانت تقوم به دولة المدينة (أثينا)، وبالمقابل ركزوا جهودهم على إقرار النظام وسن التشريعات والقوانين التي من شأنها المحافظة على وحدة الإمبراطورية وتوفير الأمن والطمأنينة لمواطنيها، وهذا ما جعلها (روما) تفرض سيطرتها على امتداد خمسة قرون في الغرب (509 - 52 ق.م)، وخمسة عشرة قرنا في الشرق (سقوط القسطنطينية على يد الأتراك عام 1453م). وفيما يخص الامبراطورية الرومانية بعد الديانة المسيحية، فكانت السلطة الدينية في المرحلة الأولى ضعيفة والسلطة الزمنية قوية، حيث عمل رجال الدين مع الأباطرة، وأطاعوا الحكومات اعتقادا منهم أن الحكام سترشدتهم الديانة المسيحية، لكنهم غيروا رأيهم عندما شعروا بقوة الكنيسة وطالبوا بطاعة الله قبل طاعة الحاكم، أي استقلال الكنيسة وفصلها عن الدولة وتركها تعمل بحرية في الشؤون الدينية...

بعد هذه الإطالة السريعة على الحضارة الرومانية وخاصة نظامها السياسي وطبيعة الحكم فيها، نستخلص في الأخير بعض

⁽¹⁹⁾- بوحوش، تطور النظريات والأنظمة السياسية، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص90.

مميزات السياسة الرومانية والتي لا أثر لوجود التكتلات السياسية أو الحزبية فيها ، والتي نوجزها في النقاط التالية :

- الاعتماد على القوانين الوضعية نتيجة اتساع الرقعة الجغرافية للإمبراطورية.

- اعتبارها السياسة فوق الدين لإخضاع رجال الكنيسة للإمبراطور.

- فصل الدولة عن الفرد وإعطاء كل طرف حقوقه وواجباته.

- الشعب هو صاحب السيادة وممارسة السلطة من طرف المسؤولين الرسميين نيابة عن الشعب عملية طبيعية لا تحتاج إلى عقود مكتوبة.

- صياغة القوانين من طرف الخبراء في التشريع والموافقة عليها من اختصاص الشعب، أي أن القانون هو اتفاق بين الحكومة والشعب وهو بمثابة تعاقد اجتماعي يجب احترامه وليس من حق الشعب التمرد أو رفع السلاح ضد الحاكم (نظرية العقد الاجتماعي عند هوبز).

إذا كانت الحضارات الشرقية والغربية بدولها وأنظمتها السياسية وحتى القرن الثامن عشر لم تعرف الأحزاب السياسية (ما عدا الحضارة الإسلامية)، فهل هناك حاجة إذا لهذه الأحزاب ؟ وهل يمكن الحديث عن ديمقراطية بدون أحزاب سياسية ؟

تعتبر الأحزاب السياسية مصدر للديمقراطية وإحدى أدواتها، ومن أجل الوصول إلى حالة التعددية والديمقراطية لا بد من وجود أدوات للتحويل صوب العمل الديمقراطي، ومن بين أهم تلك الأدوات وجود أحزاب سياسية مهنية وفاعلة تعي دورها وعملها الحزبي كتنظيم سياسي.

فوجود عدد من الأحزاب ذات البرامج الواضحة والتنظيم الجيد والتي تجعل من المنافسة الشريفة وسيلة للوصول إلى السلطة من أجل تنفيذ البرنامج السياسي وليس الحكم والتسلط، إلى جانب أحزاب أخرى تأخذ صفة المعارضة وتكون مهمتها الرئيسية مراقبة أداء الحزب الحاكم^(*) ومساندته في المهام التي يراها تصب في المصلحة العامة والوقوف بوجهه وفضح توجهاته في حال انحرافه عن برنامجه السياسي المرسوم له، يتم الترسخ للعمل الديمقراطي⁽²⁰⁾. وإذا كان الأمر كذلك فكيف كانت نظرة الإسلام للأحزاب السياسية خاصة تلك المؤيدة أو المتفائلة ؟

نظرة الإسلام المؤيدة للأحزاب السياسية :

المؤيدون للاتجاه الحزبي في الإسلام يدللون على أن لفظ "حزب" ورد بدلالة تفيد المدح، ويستدلون على ذلك بما ورد في القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى : " ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون " (المائدة، الآية 56.)، ويقول سبحانه وتعالى : "... ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون " (المجادلة، الآية 22.)، فحسب هؤلاء فإن لفظ "حزب" ليس

❖- مراقبة أداء الحزب الحاكم : الأمر يشبه إلى حد ما النموذج الديمقراطي الأثيني، بحيث كانت القبائل التسع الموجودة خارج الحكم تراقب القبيلة الحاكمة في كيفية تطبيق القوانين، وهي نفس الصيغة الموجودة حالياً في حالة التعددية وتشكيل المجالس المنتخبة من قبل الأحزاب، يحث يضمن هذا عنصر المراقبة على أفعال من بيده السلطة من الأحزاب، ونفس الشيء بالنسبة للأحزاب خارج السلطة..

⁽²⁰⁾- أحمد جويد، مركز الإمام الشيرازي للدراسات والبحوث <http://shrc.com> شبكة النبأ المعلوماتية 19مارس 2008.

مرفوضا في القرآن الكريم بإطلاق، لأن لفظ "حزب" لم يستعمله القرآن بدلالة الذم في جميع المواضع التي ورد فيها اللفظ، فكما ورد في القرآن الكريم "حزب الشيطان" ورد أيضا "حزب الله"⁽²¹⁾. ونفس الشيء بالنسبة للسنة النبوية، لان لفظ الحزب لم يرد بدلالة الذم فقط، ولكن أيضا بدلالة المدح، فقد كان يطلق على المؤمنين "حزب محمد" وكانوا يسمونه مع أصحابه حزبا، وقد أطلق اللفظ على أمهات المؤمنين زوجات الرسول (ص) لقول عائشة رضي الله عنها أن نساء رسول الله (ص) كن حزبين.. بمعنى جماعتين⁽²²⁾.

المحور الثاني : الأحزاب السياسية معول تهديم للأنظمة

بالرغم من الاعتقاد السائد بأن الأحزاب السياسية هي عماد الديمقراطية الحديثة وأنها أدواتها ولا يمكن الحديث عن الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير في غياب الأحزاب، إلا أننا نجد العديد من الآراء التشاؤمية بخصوص الأحزاب والتي اعتبروها معول لتهديم الكيانات والأنظمة، قد أعلنت من طرف العديد من الساسة والمفكرين الكبار والمعروفين بدراساتهم المستفيضة للأحزاب، لذا سنحاول في هذا المحور تقديم عرضا موجزا لهذه الآراء مع رأي الإسلام في ذلك.

الفيلسوف اليوناني أفلاطون يقول : " لا شريخيف بمدينة أكبر من الذي إذا نزل بها فرقها شيعا وأحزابا ولا خير تنعم به مدينة أعظم

⁽²¹⁾- حسين عبد الحميد احمد رشوان، الأحزاب السياسية وجماعات المصلحة والضغط : دراسة في علم الاجتماع السياسي الإسكندرية : مركز الإسكندرية للكتاب، 2007، ص 35
⁽²²⁾- محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، القاهرة : دار الشروق، د ت، ص ص 111، 112.

من ذلك الذي إذا حل فيها ربط أجزاءها بعضها ببعض وجعل منها وحدة متماسكة". أما ميكيافلي^(*)، فيقول: "الاختلافات أحيانا تكون ضارة وأحيانا تخدم الجمهورية، الضار منها هو ما يكون بواسطة الأحزاب، وما لا ينجم عن نشاط الأحزاب والزمير فهو مفيد... وينصح من يؤسس الجمهورية أن يضع أفضل الشروط التي تحول دون وجود الأحزاب والزمير". لكننا يجب علينا أن نتساءل قبل الحكم على رأي ميكيافلي، وذلك بالعودة إلى الظروف التي قيل فيها هذا الحكم، بعبارة أخرى دراسة هذا الحكم في سياقه الزماني والمكاني.

ويُعتبر ميكيافلي أحد الأركان الذين قام عليهم عصر التنوير في أوروبا. ولقد اختار موسليني كتاب الأمير لميكيافلي موضوعاً لأطروحته التي قدمها للدكتوراه، وكان هتلر يقرأ هذا الكتاب قبل أن ينام كل ليلة، ناهيك عن من سبقهم من الملوك والأباطرة كفريدريك وبسمارك وكريستينا وكل من ينشد السلطة خاصة في دول العالم الثالث، إذا لماذا الترحيب بالأحزاب السياسية التي يمكن أن تنافس هؤلاء الذين ينشدون السلطة ويتشبهون بها ؟

من المفكرين والسياسيين الذين نظروا إلى الأحزاب منذ ظهورها أنها شراً على الأمة أمثال: رسالة كتبها إدموند بورك E. Burke سنة 1770 يقول فيها: "الصلوات الحزبية الضيقة يضعف الروابط التي تشدنا إلى وطننا" وبخصوص مساوئ الأحزاب هناك

(*)- ميكيافلي من مواليد 1469 - 1527 بفلورنسا - إيطاليا تقلد منصباً إدارياً في الحكومة، زار خلالها البلاط الملكي في فرنسا، وألمانيا، وعدة مقاطعات إيطالية في بعثات دبلوماسية. بعدها بقليل حُبس في فلورنسا عام 1512، نُفي بعدها لسان كاسانو، وتوفي في فلورنسا عام 1527. له العديد من المؤلفات ويبقى أشهرها الأمير الذي كتبه عام 1513 ونشر بعد وفاته بخمس سنوات.

عبارة شهيرة أطلقها الملكة فيكتوريا بقولها " إن الحزبية ستؤدي إلى تدمير البلاد".

وفي خطاب الوداع للرئيس الأمريكي جورج واشنطن^(*) الذي ألقاه سنة 1796 والذي حذر فيه الشعب الأمريكي من شرور وخطر الأحزاب السياسية فيقول : "... وعند النظر في الأسباب التي قد تعكر الاتحاد يخطر على البال أمر يستدعي الاهتمام الجدي، وهو أن يكون قد وجد سبب لاتصاف الأحزاب بالفروق الإقليمية، فحزب شمالي وآخر جنوبي وثالث أطلسي ورابع غربي من حيث يستطيع أصحاب المكر والغرض أن يوجدوا بأن هناك فرقا حقيقيا في المصالح الإقليمية وفي وجهات النظر. إن من وسائل الحزبية لاكتساب السلطة والنفوذ، ضمن مقاطعة معينة، أن تشوه آراء المقاطعات الأخرى وأهدافها... والأحزاب من شأنها هدم المبدأ

^(*) - جورج واشنطن (1732 - 1799)، أول رئيس للولايات المتحدة. كان خصماً للانفصاليين وقاد الثورة التحريرية التي انتهت بإعلان استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا في 4 يوليو 1776. بعد انتهائه من تعليمه التحق عام 1754 بجيش القارة الذي قاد ثورة التحرير، ثم اختير عام 1775 م قائدا لهذا الجيش ليخوض به حروبا عنيفة انتهت بعد ست سنوات. كما شارك فيما يعرف بالحرب الفرنسية الهندية. وفي 1789، اختارت الانتخابات واشنطنون كأول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، لقد وضع واشنطن الكثير من السياسات والتقاليد التي هي حتى الآن موجودة يصنفوه مع أبراهام لينكون بين الأعظم الرؤساء الأمريكيين. اعتمد سياسة التحرش ببريطانيا وعدم خوض مواجهات كبيرة ومباشرة... استمر في جهوده الرامية إلى إقرار النظام الفدرالي بين الولايات الأمريكية حتى تكللت في النهاية بعقد مؤتمر دستوري في فيلادلفيا عام 1787. وبعد إقرار الدستور في مؤتمر فيلادلفيا انتخبته الهيئة الانتخابية بالإجماع رئيساً للولايات المتحدة ليبدأ حكم دولة مقدر لها أن تكون أكبر قوة في العالم. أدى أول قسم دستوري في تاريخ الولايات المتحدة في شرفة مبنى مجلس الشيوخ يوم 30 أبريل 1789 ليحكم أميركا لفترتين متتاليتين من 1789 - 1797. تميز باحترامه العميق لقرارات الكونغرس، وعمل على تحييد أميركا وعدم إقحامها في الصراع الدائر بين بريطانيا وفرنسا، وقبل أن تنتهي السنة الثالثة من خروجه من الرئاسة أصيب بمرض توف في أثره في 14 ديسمبر 1799. راجع في ذلك: ريشارد شرودر، موجز نظام الحكم الأمريكي، توزيع وكالة الإعلام الأمريكية، 1992، ص 15.

الأساسي للوحدة الوطنية وقيادته في اتجاه مميت... إنها تؤدي إلى تأسيس الشيع.. وتضع مكان إرادة الأمة السيدة، إرادة شيعة صغيرة في اغلب الأحيان، لكنها قلة مكارمة مغامرة... إن الأحزاب تلهي وتحير مجالس الشورى، وتضعف الإرادة العامة، إنها تززع المجتمع بما تشيع فيه من حسد وبغضاء ومخاوف مصطنعة، وتذكي نار العداوة بين الأحزاب، وتثير بين الحين والآخر الشغب والعصيان وتفتح الأبواب للنفوذ الأجنبي والفساد الذي يجد طريقه معبدا إلى الحكم بواسطة الأهواء الحزبية".

يعود رأي الرئيس للأوضاع التي عاشتها الو.م. أ قبل الاتحاد، وبالتالي فإنه مجرد التفكير في وجود الأحزاب من شأنه حسبه أن يعيد الإتحاد الهش إلى نقطة الصفر وبالتالي الانقسامات والحرب الأهلية وغيرها... .

ويعرف المركيز هاليفاكس^(*) الحزب بطريقة تنم عن رفض ونقد لاذع حيث يقول : "إن أفضل حزب ما هو إلا نوع من المؤامرة على بقية الأمة".

أما الفقيه الفرنسي جورج بورد وفييرى أن : " الحزب يفقد مبرر وجوده إذا لم يكن هناك انقسام ومن الخطأ أن نتوقع فيه مبادرة ما

(*) - هاليفاكس رجل دولة بريطاني من مواليد 1633- 1695، كان عضوا في المجلس سنة 1672 وأصبح رئيسا له عام 1685، وبعد المشاكل التي وعت له مع بعض الملوك أصبح معارضا للحكومة.. وقد ترك بعض الكتابات منها :

Caractère d'un Trimmer (c.-à-d. nageur entre deux eaux) ;

Caractère de Charles II ;

Maximes d'État ;

Avis d'un père à sa fille...

في مجال المصالحة، ولا ندري أي نوع من المصالحة يمكن أن يقوم بها إذا كان من شأنها أن تجعل وجوده بلا معنى".

وينتقد المفكر (الكسيس دوتوكفيل) Alexis de Tocqueville^(*) الأحزاب السياسية فيقول: "... الأحزاب الكبيرة تؤدي إلى تمزيق الدولة إلى أجزاء، بينما تؤدي الأحزاب الصغيرة إلى تدهور أحوالها والحد من قيمتها، ويمكن أن يتحول سكان البلاد تدريجياً- بفعل الأحزاب- إلى حالة من المواجهة المستمرة".

وعن الانقياد الأعمى لتوجيهات الحزب يقول أرث ماكينزي إن أحد الناخبين الانجليز قد أجاب عندما سئل عن حملة الانتخابات التي أجريت في بريطانيا سنة 1951 بقوله: "أنني معد للتصويت حتى على خنزير، إذا أختاره حزبي كمرشح له".

أما موريس دوفرليه فيقول: "البناء الداخلي للأحزاب يلعب دوراً عميقاً في تضخيم التناقضات، فالأحزاب السياسية تؤدي إلى إصابة الرأي العام في البلاد بشروح من الصعب علاجها وهي شروح غير موجودة في الحياة الواقعية، وعلى سبيل المثال في فرنسا، تؤدي الطبيعة المميزة للحزب الشيوعي إلى إقصائه بشكل كامل عن غيره من الأحزاب الفرنسية، بالرغم من عدم وجود اختلافات كبيرة بين الشيوعيين الفرنسيين وغيرهم من المواطنين الفرنسيين... مما يجعل إقصاء هذا الحزب وعزلته تشكل تشويهاً كبيراً في التعبير عن الرأي

(*) - الكسيس دوتوكفيل Alexis de Tocqueville من مواليد باريس 1805 - 1859، مفكر سياسي وكاتب فرنسي اشتهر بتحليله حول الثورة الفرنسية، والديمقراطية الأمريكية وتطور الديمقراطيات الغربية عموماً من أهم مؤلفاته: الديمقراطية الأمريكية 1835 و1840، 15 يوماً في الصحراء الأمريكية 1840، النظام القديم والثورة 1850...

العام الحقيقي في فرنسا". والأكثر من هذا أنه في الدول الأوروبية، وحتى الوقت الحاضر، لا تزال الصورة السيئة ترسم للأحزاب السياسية ولكن بنسب متفاوتة وأسوأ صورة نجدها في فرنسا، ففي سنة 2004، ومن خلال سبر آراء أوروبي (Sondage eurobaromètre)، كانت النتائج أن 13% فقط من المستجوبين الذين عبروا بأن لهم الثقة في الأحزاب السياسية مقابل 77%. هذه الأحزاب السياسية مثلا في فرنسا ليس لديها اعتبار من طرف القوى السياسية المهمة داخل البلد، فبعض القادة السياسيين يتهمون الأحزاب بخلق التفرقة والانقسامات داخل البلد الذي هو بحاجة إلى الوحدة والتماسك، ويرى آخرون بأن الأحزاب عبرت عن عدم فاعليتها ويتهمونها حتى بالفساد... (23).

ويقول الأستاذ الأمريكي فالديمر أورلاندو وكي V. O. Key (*) إن الحزب الذي ليس في السلطة يتجه دائما لإتباع إستراتيجية الهجوم على كل ما يقوم به الحزب الذي في السلطة من أعمال، فالمختصون في العلاقات العامة قد قاموا برسم خطة الهجوم في الحملة الانتخابية للرئيس إيزنهاور سنة 1952، واختتموا خطتهم بعبارة أن: "الإستراتيجية التي ينصحون بإتباعها هي: الهجوم، الهجوم، الهجوم". فإذا كانت هذه الآراء الغربية بهذا الشكل فكيف كانت الآراء الإسلامية؟

(23) -Pierre BRECHON, les partis politiques français, paris : le documentation française, 2005, p 7.

(*) - فالديمر أورلاندو وكي - V.O. Key. من مواليد 1908 - 1963 رجل سياسي أمريكي متحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة شيكاغو عام 1934، اختص في دراسة الانتخابات ونظام الاقتراع... له مجموعة من المؤلفات منها ما يدور حول الأحزاب السياسية والجماعات وطرق تحليل الانتخابات..

نظرة الإسلام التشارؤية لوجود الأحزاب السياسية :

ورد لفظ "حزب" في القرآن الكريم في العديد من المواضع، وجاءت سورة كاملة تحمل اسم "الأحزاب"، وقد تم تناول لفظ "الحزب" بتفسيرين مختلفين وهما "الذم" و"المدح"، فأما ما دار حول ذم لفظ حزب، حيث يعني الفرقة والتشتت والانقسام في صفوف الأمة الإسلامية، فيعلل أصحاب هذا الاتجاه ما ورد في القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى: "ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتثبيتا" (الأحزاب، الآية 22). ويقول تعالى: "كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب" (غافر، الآية 5). ويقول الله تعالى: "جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب، كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذ والأوتاد، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب" ويقول تعالى: "وقال الذي آمن يا قوم إنني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب" (غافر، الآية 30). وقوله تعالى: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون" (الأنعام، الآية 159). وقوله تعالى: "والذين أتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل الله إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن اعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مئاب" (الرعد، الآية 36). ويقول تعالى: "فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم" (مريم، الآية 37). وقوله تعالى: "فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون" (المؤمنون، الآية 53) وغيرها من الآيات التي ورد فيها لفظ الحزب بهذا المعنى.

أما في الأحاديث النبوية فقد ورد ذكر لفظ حزب بمعنى الذم في مواضع كثيرة منها : فعن عبد الله بن أبي أو في قال : " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب، فقال : " اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، أهزم الأحزاب، اللهم أهزمهم وزلزلهم". وعن إسماعيل مره يعقوب بن أوس، عن رجل من أصحاب النبي (ص)، قال خطب رسول الله (ص)، فقال : " لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده"، ويقول الرسول (ص) : " افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتقرت النصراني على اثنين وسبعين فرقة وستفتقر أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة"، ويقول عليه الصلاة والسلام في وصية أخرى : " أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"⁽²⁴⁾.

يقول أنصار هذا الاتجاه أن المجتمع الإنساني قبل الإسلام كان يقوم على عدة روابط مثل الجنس أو القبيلة أو العنصر، ولما جاء الإسلام رد الإنسان إلى الحقيقة الكبرى، التي تربط الجنس البشري كله بخالقه، وترفض مبدأ التفرقة العنصرية، وتجعل من أصل العقيدة الإيمانية الأساس والمرتكز الذي يقوم عليه المجتمع الإنساني⁽²⁵⁾.
وكبديل للنظام الحزبي وضع الإسلام مبدأ الشورى بقوله تعالى :

⁽²⁴⁾ - الأريمون حديثا النووي، ط5، الجزائر : دار الكتب، 1986، ص 64.

⁽²⁵⁾ - سيد قطب، هذا الدين، ط15، القاهرة : دار الشروق، 1993، ص 87.

والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون" (الشورى، الآية 38).

ويقول المعارضون للفظ "حزب" أن التاريخ الإسلامي الأول شهد أعظم تطبيق للديمقراطية، حيث قامت المعارضة الفردية بدور فعال في مراقبة الحكام، ونقد أعمالهم، وعلى هذا الأساس يرفضون وجود الأحزاب في المجتمعات الإسلامية والاكتفاء بالمعارضة الفردية، أما المؤيدون للأحزاب السياسية فيقولون أنه لا وجه للقياس بين المعارضة في زمن الخلفاء الراشدين والمعارضة في الزمن المعاصر، حيث انه من الصعوبة بما كان الاكتفاء بالمعارضة الفردية في المجتمعات المعاصرة نتيجة تعقيدها وتشعبها لذا فمن الواجب قيام مؤسسات متخصصة تقوم بهذه العملية ومن ضمنها الأحزاب السياسية أ والتعددية الحزبية⁽²⁶⁾.

الأکید أن لفظ الحزب ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بمفهومين متناقضين تماما، فورد اللفظ محمودا إذا كان من وراء الخير، وجاء اللفظ مذموما إذا كان من وراء الشر. وفي النهاية نجد أنه بالرغم من هذه المخاوف والنظرة التشاؤمية من طرف المفكرين والقادة السياسيين، إلا أن الحزب السياسي في وقتنا الحاضر أصبح مفتاح من مفاتيح الديمقراطية وحرية التعبير والرأي، ولا يمكن الكلام عن نظام ديمقراطي إذا حرم أو منع التعددية الحزبية، ولعل ماكس فيبر من بين الذين أكدوا على الصلة الوطيدة بين نشأة الأحزاب وحق الأفراد في المشاركة في الشؤون العامة، وهي كما يقول

⁽²⁶⁾- محمد عمارة، المرجع السابق الذكر، ص 69.

الأحزاب – وليدة الديمقراطية وعلى الأخص الاقتراع العام، بما يتضمنه من ضرورة تعبئة وتنظيم الجماهير⁽²⁷⁾.

والسؤال الذي نطرحه في هذا المقام هو: هل أخذت – أو - تأخذ الدول العربية الأحزاب السياسية كأداة وآلية من آليات بناء الأنظمة والمجتمعات أم معول تهدم به أنظمتها التي لم يكتمل بناؤها بعد ؟

⁽²⁷⁾ – max Weber . Le savant et la politique ، نقلا عن : سلمان صالح ، المرجع السابق الذكر، ص 52.